# اسم الحافظ

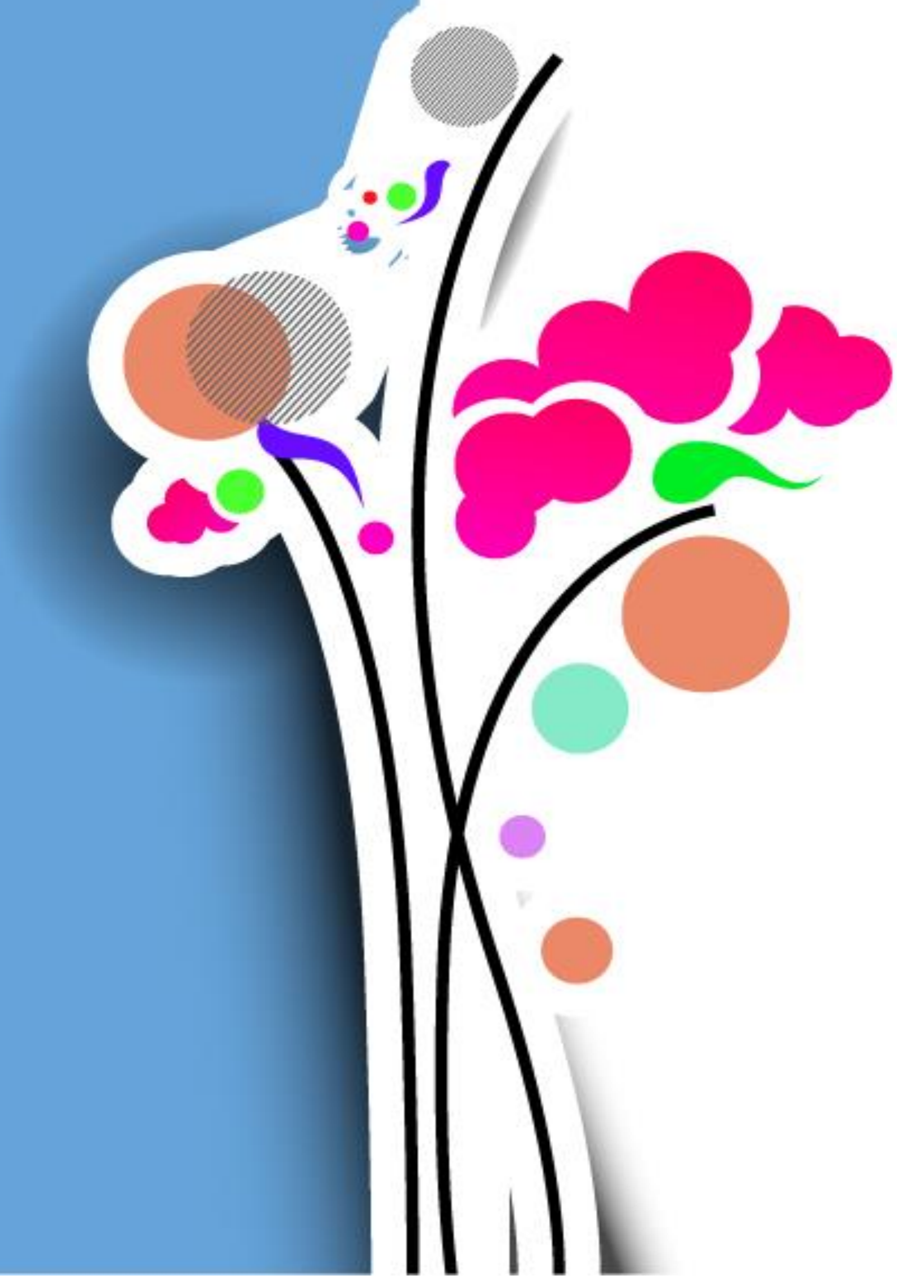

أ. أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

<u>تنبيهات هامة:</u>

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد) http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

# اللقاء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**طريقتنا في نقاش أسماء الله تبتدئ بـ:** ذكر مواطن الاسم أو الأدلة على ثبوته في كتاب الله.

الأدلة التي أوردها الشيخ عبدالرزاق البدر في كتابه فقه الأسماء الحسنى: "**قال تعالى: {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}** [هود: ٥٧]، **وقال تعالى: {وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}** [سبأ: ٢١]، **وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ}** [الشورى: ٦]، **وقال تعالى: {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}** [يوسف: ٦٤]، **وقال تعالى: {وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ}** [الأنبياء: ٨٢]، **وقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [الحجر: ٩]".

هذه الأدلة دالة على ثبوت الاسمين في القرآن؛ فأول نقطة علينا الاعتناء بها هي: ثبوت الاسم في القرآن، ثم بعد أن يثبت نبدأ بنقاشه.

يقول المؤلف: "**وهذان الاسمان العظيمان دالّان على أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالحفظ**"

ما معنى الحفظ صفةً لله؟ قال المؤلف: "**وهذا الوصف يتناول أمرين: الأول: الحفظ بعلمه جميع المعلومات؛ فلا يغيب عنه شيء منها، وفي مقابل ذلك النسيان، وقد نزَّه الله نفسه عنه لكمال علمه وحفظه، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}** [مريم: ٦٤]، **وقال تعالى: {قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى}** [طه: ٥٢]، **وقال تعالى: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}** [المجادلة: ٦].

**فهو تبارك وتعالى يحفظ على الخلق أعمالهم، ويُحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نيّاتهم وما تكنّ صدورهم، ولا تغيب عنه غائبة ولا تخفى عليه خافية، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، قال تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ}** [القمر: ٥٢– ٥٣]".

هذا كله يدور حول المعنى الأول، وهو الحفظ الذي ضد النسيان، فهو سبحانه وتعالى يحفظ على الخلق أعمالهم، ويُحصي أقوالهم ويعلم نيّاتهم، وهذا كله يأتي وراءه الحساب.

قال: **"ووكّل سبحانه ملائكة كِرامًا كاتبين يحفظون على العباد أعمالهم، قال تعالى: {إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق: ٤]، وقال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١٠ - ١٢]"** –"حافظين" يُقصد بهم الملائكة– **"وهذا المعنى من حفظه سبحانه يقتضي إحاطة علمه بأحوال العباد كلها؛ ظاهرها وباطنها، سرّها وعلنها، وكتابتها في اللوح المحفوظ وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها وكمالها ونقصها ومقادير جزائها في الثواب والعقاب، ثم مجازاتهم عليها بفضله وعدله"**.

عندما تسمعين عبارة "يحفظ على العباد أعمالهم" لابد أن تخرجي بنتائج:

- أولا: أن تتيقّني بإحاطة علم الله بأعمال العباد كلها، ظاهرها وباطنها سرّها وعلنها. إذًا الله الحافظ، أي: **المحيط** بأفعال العباد.

- ثانيا: أن حفظَ الله يسبقه **علمُه؛** فكل شيء **معلوم** مكتوب في اللوح المحفوظ، فالله عز وجل **يعلم** أفعال العباد، أحاط بها، وكتبها، وهذا كله سابق لوقوع الأفعال. وكأننا نتحدث هنا عن الإيمان بالقضاء والقدر، فأنت عندما تؤمنين بهذا الركن –ركن القضاء والقدر– تؤمنين بأن الله عز وجل يعلم كل أفعال العباد، وأنه كتبها، وأنه يعلم مقاديرها وكمالها ونقصها والثواب المترتب عليها.

**إيمانك باسم الحفيظ يتصل بإيمانك بصفة العلم لله، وصفة الإحاطة**. فهو الحفيظ الحافظ لأعمال عباده، المحيط بها علمًا، الذي يعلمها قبل أن يفعلوها ويجازيهم عليها، ويعلم مقدار جزاء كل عمل فيها، يعلم نقصه وكماله. فلو طبّقنا هذا على الصلاة –مثلًا– سنقول: الله عز وجل حفيظ، أي: عليم بالمقدار الذي جمعت عليه قلبك في الصلاة، ومن ثم سيحفظه لك، ويعلم سبحانه الجزاء الذي يوافق هذا القدر الذي جمعت قلبك عليه.

**كيف يعامل العبدُ ربَّه باسمه الحفيظ؟** عندما تعامل الله عز وجل باسمه الحفيظ ابدأ بالدقيق من المسائل قبل العظيم. نحن نوقن يقينًا بأن الله يعلم كلَّ شيء، ومحيط بكل شيء، كتب كل شيء، وسيجازي عباده على أفعالهم. وعندما تأتي لأرض الواقع فإن عليك أن تربط ذلك بكل عمل فيه حركة للقلب، أو التفاتة وغفلة، أو تنبُّه وضياع، فإما أن تجمع قلبك وإما أن

تغفل، إما أن تنتبه وإما أن تضيع. **عامِل الله باسمه الحفيظ في كل عمل يكون للقلب فيه حركة**، فهو الذي يحفظ عليك لحظات جمْع قلبك، ويجازيك على هذا الجمع، ويحفظ عليك أيضًا لحظات الغفلة والضياع، ويجازيك عليها.

ثم اعلم أنه سبحانه غفور شكور، يعامل العباد بمنّه وكرمه وفضله، فإن عاملك بعدله أخذت من صلاتك ما عقِلت، والذي عقِلتَه حفظه الله لك. فأنت إن لم تفقَه في صلاتك من التكبير إلى السلام إلا قول: "سبحان ربي الأعلى" —مثلًا– فإن الله يحفظه لك، إن عاملك بعدله ما أعطاك أجرًا إلا على هذا —قول: سبحان ربي الأعلى–، وإذا عاملك بفضله عفا عنك.

الله يعاملك باسمه الحفيظ، وأنت عليك أن تراقب هذا الاسم في الأعمال، وخصوصًا أعمال القلوب، فكل التفاتة في الصلاة اختلاس وسرقة لحِقّ الله، فيحفظ لك الله ما حفظته له، ويحفظ لك ما سرقته من صلاتك. وأنت سائر إلى ربك ينبغي أن لا يكون في قلبك إلا الله، ولا تطمع إلا في رضاه، فإن قمت بعمل صالح والتفت قلبك لغيره في وسط العمل: عامله باسمه الحفيظ؛ مستشعرًا أنك ارتكبت ذنبًا، وأنه سبحانه حافظٌ لك التفاتَك إليه، وحافظٌ لك التفاتك لغيره، وسيحاسبك على التفاتك لغيره، وحينها ستستغفره على التفات قلبك لغيره.

لنضرب لأمراض القلوب مثلًا وهو الرياء؛ الثناء حاجةٌ من الحاجات الإنسانية، ابتلاك الله عز وجل في الدنيا فطلب منك أن تَحبس حبَّك للثناء فلا تطلبه من الناس، وإنما تطلبه من الله وحده، سواء تحقق لك هذا في الدنيا أو في الآخرة، وهذا هو معنى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا الله * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ } ، "يصلّي عليكم" أي: يُثني عليكم. إذًا أنت تحب الثناء، وقد يلتفت قلبك للناس طلبًا لثنائهم، وعليك أن تحبِس نفسك عن ذلك، وتطلب الثناء من الله. هذا الذي تنتظره من ذكرك وشكرك وعبادتك وصلاتك وإحسانك، تفعل كل هذا تنتظر صلاة الله عليك –أي: ثناءه عليك في الملأ الأعلى–، فأنت محتاج للثناء؛ لأنه حاجة ركَّبها الله في نفسك، لكن تعبّدك فيها يكون بالإمساك عن حب ثناء الناس. يقول الله عز وجل في سورة الإنسان عن المؤمنين الكُمَّل: {لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} ، هؤلاء الكُمَّل حبسوا حاجتهم[2] على الله. فأنت عندما

[1] (الأحزاب: ٤١– ٤٣)

[2] (الإنسان: ٩)

تصوم تحبس نفسك عن الأكل والشرب وتنتظ الأجر من الله، وهكذا في الثناء. **وهذا من أعظم أنواع الجهاد؛ لأن الحاجة للثناء مُلِحّة، والجهاد لبلوغ الإخلاص صعب**، فالإخلاص هو أن لا يلتفت قلبك طلبًا لثناء غيره، والحاجة للثناء التي في قلبك احبسها على الله، ولا تطلبها من غيره.

**ما علاقة هذا الكلام باسم الله (الحفيظ)؟** مما يزيد إخلاصك، وطلبَك ثناءَ الله وحده: علمُك اليقيني أن الله حافظ لأعمال قلبك، والتفاته. فحين تُعرِّف الرياء تجده **التفاتة ثانية** لثناء أحدٍ من الخلق.

**كيف نعالج الرياء باسم (الحفيظ)؟** تعلم أن الله حافظٌ عليك التفاتك له، حافظ عليك التفاتك لغيره. ثم حين تُنشرُ الدواوين يُعرضُ عليك هذا المحفوظ، وتُحاسب عما حفظه الله عليك من أعمالك. ولذلك يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الرياء لأصحابه الكُمَّل ويخوّفهم منه، فيقول لهم: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ" ، وفي رواية: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟" قَالَ: قُلْنَا: بَلَى! فَقَالَ: ((الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ)) ، الشرك الخفي هو الشرك[2] الأصغر، فكله يدور حول الرياء.

**لماذا هذا الخطر؟** لأننا نؤدّي الصورة الخارجية للعمل وفي داخله اختلاسات، فضعف اليقين بأن الله حفيظ يجعل العبد يختلس، ويذهب قلبه ويندفع ويلتفت، وفي النهاية ينتظر أجرًا مثل أجر المتيقنين، ومثل أجر المجاهدين. ولهذا يقول السلف في الحج: "الرَّكْب كثير والحجاج قليل". فكلهم ذاهبون إلى الحج، والظاهر عليهم أنهم مشتركون في كل الأعمال، ثم الحفظ على ما قام في القلب. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)) ، وقال: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ[3] إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)) هذا من آثار علمك أنه حفيظ يحفظ على العباد أعمالهم.

---

[1] أخرجه أحمد في المسند، مسند الأنصار حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه (٢٣٠٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥٥).

[2] أخرجه ابن ماجة في سُننه، كتاب الزّهد، باب الرّياء والسّمعة (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٧).

[3] رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩).

[4] رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٢٥٦٤).

**اسم الله الحفيظ مع الشكور**، كما فعلنا في اسم الله الحفيظ مع العليم. ما علاقة الحفيظ بالشكور؟ لو أَمَطْتَ أذىً عن الطريق وأنت لا تريد إلا وجهه، هذا الأذى يمكن أن يكون منديلًا في الأرض، تدفعه بقدمك ولا يحتاج جهدًا ولا شركة نظافة، في الحديث: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ"[1] ، والحديث الذي يظهر فيه العجب أكثر حديث المرأة الزانية، التي سقت كلبًا، كان يلهث من شدة العطش ويأكل التراب، وليس حولها أحد يمدحها، وليس لها مصلحة عند الكلب، فتعود إلى البئر وليس معها شيء تحمله فيه، فتأخذ خفها فتملؤه فتسقيه، لا تريد إلا الله، فيكون هذا العمل محفوظًا لها، فتُشكر على ذلك فيُغفر لها فتدخل الجنة[2].

فاسم الله الحفيظ يجعلك دقيقًا من الجهتين ، دقيقًا من جهة التفاتات قلبك[3]، ومن جهة أنك لا تريد أن تُفوّت على نفسك فُرَصًا ومصالح. الأذى يأتي في طريقك من أجل أن تُميطَه، ومن أجل أن تُؤجر عليه، والله يحفظ عليك هذا الأمر، خصوصًا في الحرم: أنت في أرض معظَّمة وكما هو معلوم أن الأجور تتضاعف في الأرض المعظَّمة، وفي الغالب أن الذي يذهب للحرم يكون قلبه مجموعًا، فقلبٌ مجموع على إرادة وجه الله، وأرضٌ تُضاعف فيها الأجور، وكيف لو كان موسمًا تُضاعف فيه الأجور؟، فيجتمع شرف الزمان والمكان وصحة القلب فتكون إماطة الأذى محفوظةً لك سببًا للمغفرة. كل هذا يجعلك تتعبد الله باسمه الحفيظ.

**نضرب مثالًا أكبر**: تُحسنُ لهم ويسيئون إليك، تُكرمهم ويُهينونك، تحفظ أعراضهم ويتكلمون في عرضك، والله حفيظٌ على فعلك وفعلهم. عندما يتهمونك أنَّك فعلت وأنت لم تفعل، وتدافع فلا يصدقون، وتُبرِّر فلا يقبلون: اتركهم، فالله عز وجل حفيظ عليك وعليهم.

بل في أحيان كثيرة يأتي الحفظ بصورة غير مُتصوَّرة، أتصرَّف تصرُّفًا أمام أحد مثلًا، أراه في يوم إثنين وأعطيه كأس ماء، فيقول: لا، فأفهم أنه صائم. فيقع في قلبي أنه مُراءٍ، بعد يومين أو ثلاثة يحصل موقف فيسألني: ما حكم لو أخّرتُ قضاء الدورة الشهرية في شعبان؟ فأفهم أن ذلك اليوم كان قضاءً، فحفظ الله عز وجل عليه صدقَه، وحفظ عليك ما ابْتليت به نفسك من الاستسلام لسوء الظن.

---

[1] رواه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر (٦٢٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق (١٩١٤).

[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– " بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ " رواه مسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (٢٢٤٥).

[3] من جهة ارتباطه باسم الله العليم، ومن جهة ارتباطه باسم الله الشكور.

ومثل ذلك: أمٌّ تحكي عن ولدها أنه كان ينتظرها في الخارج بعد أحد المحاضرات، ففتحت باب السيارة على غفلة منه، فسمعت صوت موسيقى، وصُدمتْ لأن ولدها مستقيم وظاهرٌ عليه الصلاح، وبدأ الشيطان يوسوس لها، ولم يتكلم ولدها بأي كلمة. بعد أسبوع رَكبتْ معه وإذاعة القرآن مفتوحة، فاختلطت موجة الإذاعة فجأة ودخل عليها الغناء، فقال لها ببراءة: ما أكثر ما دخلت موجة الغناء على القرآن! ففي هذا الموقف حفظ الله له تقواه، وحفظ عليها ما وقع في قلبها، ودُوفع عنه دون أن يعلم أنه متّهم أصلًا.

هذا من حفظ الله سبحانه وتعالى لأفعال العباد وما دار في خواطرهم، ومن تربيته لهم؛ يحفظ عليك سوء ظنِّك ويُريك إيّاه لتتوب وتستغفر، يحفظ عليك صحّة قلبك، إن فعلتَ الخير وظنّه أحدهم شرًّا: سيحفظ عليك إرادة قلبك ويظهرها له الآن أو بعد حين.

إذًا الحفيظ وصفه أنه محيط بأفعال العباد وحركات قلوبهم، يحفظ عليهم دقيق الحركات وعظيمها. فحين تعلم اطّلاعَه على ما قام في قلبك، وحفظه له ثم جزاءك عليه – علمُك هذا يجعل بصرك على قلبك –المكان الذي تحصل فيه الالتفاتات، المكان الذي بسببه تصلح الأعمال أو لا تصلح– .

عيوننا في الغالب تلتفت إلى حفظ الناس لأعمالنا، فيُهمّني أنّ مَن أحسنتُ له يبقى متذكرًا إحساني له، والذي أحسنتُ في تعليمه يبقى متذكرًا أني علمته، حتى في الحرم – وهو ليس أرضي ولا مكاني، مثلي مثل كل الناس الجالسين – حين أُفسِح لأحد مكانًا أريد منه حين يقوم أن يقول لي: "جزاك الله خيرًا، أحسن الله إليك، أفسحتِ لنا، كثّر الله خيرك ...إلخ"، وأشعر أنه يجب أن يحفظ لي ما قدمت له!، هذه الالتفاتة العظيمة الحاصلة هي التي تسبب الإشكال؛ **فالتوحيد أن لا تعتنيَ بأحدٍ يحفظ عليك عملك إلا الحفيظ سبحانه وتعالى**. **كن مطمئنًّا أنه ما تحرّك قلبك شوقًا إليه إلا حُفظَ شوقُك، وما تحرَك قلبك خوفًا منه إلا حُفظ خوفُك**، أنت هنا وتقع بقلبك حرقةٌ على إخوانك في فلسطين، شعورُ ثانيةٍ يحفظه الله لك فاطمئن!

واحدٌ هو الذي لأجله تعتني بحركات قلبك؛ لعلمك أنه حافظ عليك أعمالك، ولأنه وحده الذي يحاسبك ويجازيك على هذه الأعمال. ولذلك اسم الحفيظ من الأسماء التي يجب أن يظهر فيها التوحيد، واحدٌ الذي يُهمني حفظه لأعمالي، لأني لو اعتنيتُ أن يحفظَ فلانٌ لي أمجادي، ويَذْكرَني آخر في المهمّات، ويحفظَ ثالثٌ إحساني له، سيتشتّت قلبي بثناء الناس، وسيهمل الاهتمام بحفظ الله لأعمالي.

**المعنى الثاني: "الثاني: أنه تعالى الحافظ للمخلوقات من سماء وأرض وما فيهما، لتبقى مدة بقائها، فلا تزول ولا تدْثُر ولا تميد ولا يسقط شيء على شيء، ولا يثقله ولا يعجزه شيء من ذلك، كما قال تعالى: {وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا} [البقرة: ٢٥٥]، يحفظ سبحانه السماء أن تقع على الأرض، قال تعالى: {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [الحج: ٦٥]، وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ٣٢]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} [فاطر: ٤١]."**

فالله لا يثقله ولا يعجزه أن تبقى السماوات والأرض محفوظةً مدة ما أراد الله بقاءها. وهذا يثير في أذهاننا أمرًا في غاية الأهمية: **نريد أن نفرق بين معنى الإفساد في الأرض بالمعاصي (التي من آثارها نقص المطر) وبين اختلال التوازن الكوني:**

فنحن نسمع عن ثقب في طبقة الأوزون، ونسمع عن الاحتباس الحراري. هاتان الكلمتان مفادُهما في الأخير: اختلال في حفظ الكون. هذا أمر يختلف عن اعتقادنا أن من آثار المعاصي فساد الأرض، فمن آثار المعاصي: حبس المطر، قلة الرزق، غلاء الأسعار، كل هذه من آثار المعاصي . فالمقصود أننا نريد أن نفرق بين ما يسمّونه بانهيار الكون بفقدان الأرض وبين فساد الأرض بالمعاصي. من سوء ظنهم بالله يقولون: بعد ثلاثين سنة سيموت الناس؛ لن يجدوا هواءً يتنَفّسونه ولن يجدوا ماءً يشربونه؛ لاختلال التوازن الكوني، وهذا ليس حاصلاً؛ لأن الله هو الحافظ. **بقي أن تفهم بما معك من إيمان أن الحافظ سبحانه يحفظ الأرض، لكن يعاقب الخلق في الأرض بسبب معاصيهم**، وهذا هو الفرق الدقيق بين المعلومتين، فالاحتباس الحراري وثقب الأوزون مفاهيم مبنيةٌ على أن الأرض ستأتي لحظةٌ يختلّ فيها توازنها، ونحن نعتقد: أن من أسمائه (الحافظ الحفيظ) حافظ للأرض، مبقيها، لا تميد ولا تندثر ولا تزول، ومصالحها باقية كما هي، إلى أن يأتي الوقت الذي أراده سبحانه وتعالى فتنفرط المسألة مثل العِقد، أمّا ما نجده الآن فهذا من آثار المعاصي، وليس اختلالًا في الكون.

فحين تسمع أنّه في وقت معيّن ستجتاحُ الأرضَ عاصفةٌ شمسية وتخلّ بنظام الأرض ويتناثر الناس، ألقِه خلفَ ظهرك؛ لأن الله هو الذي يمسك السماء والأرض أن تزولا، فإيمانك بأنه الحافظ الحفيظ يصرِف هذا الأمر عن بالك، واعتقادهم هذا إنما نتج عن سوء ظنهم بالله، وهو مخالف لاعتقادنا بربوبية الله سبحانه وتعالى.

[١] ولذلك من الأدعية أن تسألي الله أن يُرخص أسعارنا، فعندما تشترين شيئًا غاليًا لا تسبي الشركة والمكان وتنطلقي على الناس بالكلام، بل استعيذي بالله من الغلاء واسأليه أن يُرخص الأسعار، لأنه هو المسعِّر سبحانه كما ورد في الحديث.

سيحفظك الحفيظ الحافظ كما حفظ الجنين في بطن أمه، وكما يحفظ النملة الصغيرة التي لا تخطر ببالك، انظر لها كيف يسقيها الله ويعطيها نصيبها ويحييها، وانظر كيف جعل لها عروقًا تجري فيها الدماء، ولا تستطيع بيدك مسّها، وهو باب عجيب لمن أراد أن يتأمله، مُؤَدّاه وجوب اعتقاد أن الله حافظ للسماء والأرض، وانفراط الكون واختلاله لا يكون إلا يوم القيامة، أما البرّ والبحر فتظهر عليهما آثار فساد الناس.

"**يحفظ سبحانه السماء أن تقع على الأرض، قال تعالى:** {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [الحج: ٦٥]"، هذا لا يكون إلا حين ينفرط العقد وتنتهي الحياة الدنيا. "**وقال تعالى:** {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا} ثم يقول عمّن استعمل العَمى مع آياته: "{وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ٣٢]"، "**وقال تعالى:** {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا} [فاطر: ٤١]". وهذا دليل على أن النظام الكوني محبوك محفوظ، فخلَقَه حين خلَقَه على أجود ما يكون، وأبقاه بحفظه حين أبقاه.

ومن آثار حفظه أنه "**تكفَّل سبحانه بحفظ كتابه العزيز، قال تعالى:** {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، **فلا يطوله تحريف، ولا يلحقه تبديل، ولا يغير فيه حرف، ومع تطاول الأيام وامتداد الزمان بقي القرآن كما هو، وبقيت آياته كما أنزلها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم، وسيظل محفوظًا بحفظ الله عز وجل**."

الذي نزَّله حفظه، فيقع في قلبك اليقين أن هذا الكتاب محفوظ مهما بُذلت الجهود لتغييره، الله يُقَيِّض له من يدفع عنه التحريف، ويدفع عنه أيَّ سبب يؤدي لعدم انتفاع الناس به، فيبقى محفوظًا في الصدور، محفوظًا مكتوبًا، تبقى فئةٌ من أمة النبي صلى الله عليه وسلم فاهمةً له، متعبدةً بامتثال أوامره إلى أن يقترب قيام الساعة، قال صلى الله عليه وسلم: " لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ " ، ينصرهم الله الذي حفظهم[١].

لابد أن تتنبه: أن هذه الطائفة –على مرّ التاريخ– تتنقل فليس لها مكان جغرافي واحد، **وحين تكبُرُ هذه الطائفة في بلد، ثم يأتي أهل هذا البلد فيعاملون حفظَ الله لدينهم بالبَطَر: تزول هذه النعمة عنهم وتنتقل إلى غيرهم.** نحن لا نكره انشار الخير في بلاد المسلمين، لكن الذي يخيفنا زوال ذلك الخير، وما نراه من مواقف وأحداث وتصرفات اليوم إنما هو إعادة للتاريخ؛ فما تقرؤه تاريخًا –عن الثورة على الدين ودخول العلمانية العالمَ الإسلامي– تكاد تلمحه واقعًا.

[١] رواه الترمذي في سُنَنِه، كتاب الفتن، باب ما جاء في الشّام (٢١٩٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٠٣).

إذًا هذه البلد التي حفظ الله الدين بها، لم يميزها إلا لأن مع أهلها الدين، فإن بطروا وتمرّدوا زال عنهم إلى غيرهم، نقرأ في التاريخ مثلًا أن الهند بلَغَتْ في أحد الأحقاب التاريخية الدرجة العُليا في حفظ الدين، وأن كتب الدين المطبوعة كثُرَتْ فيها ككُتب علم الحديث وعلم الرجال، ومثل ذلك في أواسط آسيا – دول الاتحاد السوفييتي سابقًا –كان الدّين محفوظًا فيها، مثلَ بُخارى بلَدِ البخاريّ، وَتِرْمِذ بلَدِ الترمذيّ.

إذًا الدين محفوظ بحفظه سبحانه، والقرآن محفوظ، والسنة محفوظة، ومن يحملهم محفوظ، فإن تبطرْ على نعمة الله أن جعلك من حافظيها يُزِلْها عنك ويُعطِها غيرَك، **ليس بينك وبين الله نسب، التقوى هو الرابط بينك وبين الله**، إن يكن في قلبك بطرٌ وكراهية لمظاهر الاستقامة وبغضٌ لظهور شعائر الدّين فإن ذلك كلّه من علامات النّفاق، والله عزّ وجلّ لا يبقي دينَه محفوظًا في قلوب المنافقين، وهم ليسوا أهلًا لحفظ الدّين، فيخرج منهم إلى من هم أهلٌ له.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يَعُمّ الخيرَ على بلادِ المسلمين وأن تأتي الصحوة التي تجعلُ الكلّ من أهل التوحيد، وأن لا يُزيلَ عنّا نعمةَ التوحيد ونصرتَه، اللهم آمين.

# اللقاء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

لا زلنا في شرح اسمي (الحفيظ–الحافظ)، وكنا قد اتفقنا على معانٍ لهما:

- **المعنى الأول**: حفظه –سبحانه وتعالى– لأعمال عباده، ويدور حول:

١. إحاطته –سبحانه وتعالى– بأحوال العباد.

٢. وكتابته لها في اللوح المحفوظ.

٣. وعلمه بمقادير الأعمال، ومقادير جزائها.

- **المعنى الثاني**: **أنه تعالى حافظ للمخلوقات**، وحفظه للسماوات وللأرض، وفرّقنا بين أمرين:

○ الأول: أن السماوات والأرض محفوظة بحفظه، وكل ما تسمعه من دعاية باطلة: أن في خلقه تفاوتًا، أو أن في حفظه السماوات والأرض نقصًا: فهذا باطل. وهذا الحفظ مُقرَّر بكتاب الله.

○ الثاني: أثر ذنوب العباد على البر والبحر.

- **المعنى الثالث**: **حفظه لكتابه**، قيّض الله عز وجل لكتابه من يحفظه، وقيّض لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من يحفظها، فهي داخلة في حفظ الذِّكْر؛ وهي من الذكر المحفوظ، وما تسمعه من دعاوى عن السنة ومن يُسَمَّون بالقرآنيين الذين يأخذون من القرآن ويُشكّكون في صحة السنة قد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– عنهم: فقال: "لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا

عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ!"[1] . هذه الفرقة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم اسمهم اليوم "القرآنيّون"، ما عِلّتهم؟ عِلّتهم: الشك في حفظ الله لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. ونحن ماذا نعتقد؟ **نعتقد أن الله كما قيّض للقرآن رجالًا يكتبونه على مصاحفهم، ويحفظونه في صدورهم، فإنه قيّض أيضًا للسنة أسبابًا لحفظها**:

- فقيّض رجالًا يرحلون ويبحثون عن صِدْقِ الناقلين عنه صلى الله عليه وسلم.
- قيّض رجالًا يكتبون سنّته.
- قيّض رجالًا يُبيّنون صحيح السنة من سقيمها –الموضوع أو الضعيف–

هذا ما نعتقده تجاه السنة، أنها محفوظة كالقرآن، حَفِظَها الحفيظ.

لا تتعامل بعقلك مع القرآن والسنة! لا تقل –مثلًا–: كيف حُفِظت لنا أفعال الرسول – صلى الله عليه وسلم – منذ أربعة عشر قرنًا؟! من يُصدّق هذا؟! نحن لو كنا نعامل الخلق لضاع الذِّكْر، وضاع العمل، وضاع المحفوظ من الأفعال والأقوال، لكننا نتعامل مع من وَصْفُه الحفيظ، الذي أخبرك: أنه أنزل الذكر، وأنت تعلم أن **الذكر هو**: **كلامه في القرآن، وكلام نبيه – صلى الله عليه وسلم –، الذي لا ينطق عن الهوى**، فهذا محفوظ وذاك محفوظ، القرآن له طريقة في الحفظ، والسنة أيضًا لها طريقة في الحفظ، وهذا يُقيك متعلقًا به –سبحانه وتعالى– أن يحفظ عليك يقينك بحفظه للقرآن والسنة.

ادعُ الله أن يدفع عنك الشُّبَه؛ لأن هؤلاء قوم تلوّثت عقولهم، وقَبِلوا تقرير عقولهم، وتركوا علمهم عن ربهم! فلو سَبَقَ إلى قلوبهم: أن الله حفيظ، وأنه سبحانه قادر على الحفظ، وطريقة حفظ القرآن بتقييض الرجال الصالحين للحفظ –لَمَا شكّوا أبدًا مهما أتتهم الشكوك، لكن الذي لا يعرف ربه تأتيه مثل هذه الشُّبَه فيقبلها. فالحفظ لسنة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مِن فِعل الرجال، وإنما كان من حِفظ الحفيظ سبحانه وتعالى.

---

[1] رواه الترمذي في سننه/ كتاب العلم/ باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم/ (٢٦٦٣) وقال: حديث حسن صحيح.

قال المؤلِّف: "**وتكفل سبحانه بحفظ كتابه العزيز، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، فلا يطوله تحريف، ولا يلحقه تبديل، ولا يُغيِّر فيه حرف، ومع تطاول الأيام وامتداد الزمان بقي القرآن كما هو، وبقيت آياته كما أنزلها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وسيظل محفوظًا بحفظ الله عز وجل.**"

أيضا من معاني الحفظ التي تتصل بنا وهو المعنى المحفوظ، الذي ورد في حديث ابن عباس –رضي الله عنهما-: "احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ" .[1]

قال: "**ومن معاني هذا الاسم أنه سبحانه الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون، وحفظه لهم نوعان: عام وخاص. فالعام: حفظه لهم بتيسيره لهم الطعام والشراب والهواء، وهدايتهم إلى مصالحهم، وإلى ما قُدِّر لهم وقُضِي لهم من ضرورات وحاجات وهي الهداية العامة التي قال عنها سبحانه: {الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} [طه: ٥٠]**".

أعطى كل شيء موجود خَلْقَهُ الذي يناسبه، {ثُمَّ هَدَىٰ} أي: هدى إلى الانتفاع بالمصالح، والانتفاع بِكُل ما يحيط بك، فكل ما تراه من اختراعات وتَمَكُّن في الأرض (علاجات، طائرات، وسيارات ...إلخ) كل هذه الأنواع من حفظه –سبحانه وتعالى– لعباده.

يحفظ لهم الهواء والطعام والشراب، ويهديهم للطريق الذي به يستطيعون أن ينتفعوا من كل شيء حولهم؛ فمن أجل حفظ أبدانهم عاملهم الحفيظ بأن كشف لهم أسرارًا فيما خلق يستطيعون أن يتعالجوا بها، ومن حفظه لأمتعتهم بنقلها من مكان إلى مكان: سخّر لهم هذه الفلك تجري في البحر، وسخّر لهم هذه الطائرات تطير في الهواء، وكلُّ ما سيستجد نوعٌ من أنواع الحفظ لما رزقهم، فاختراع مثل اختراع الثلاجة والتبريد، كان يسبقه اختراع التجفيف، وهذا كله من آثار حفظ الله العام.

أنت الآن أعطاك الله –عز وجل–مصالح، وحفظها عليك، وعلمك كيف تحفظها، كل مرة يقولون لك: اخترعنا طريقة لحفظ شيء، ماذا تقول؟ تقول: دلَّهم الحفيظ عليها من أجل أن يحفظوا ما رزقهم، فأنت وما تَمْلِك في حفظ الله.

نحن نسأل الله عز وجل أن يُثَبِّت قلوبنا علينا؛ لأن أقل المخاوف تجعلنا لا نثق به حافظًا لنا، ودائمًا يعاملنا الشيطان بالقلق أوّلًا، ثم نصل إلى حال من القنوط.

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، (٢٥١٦) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قال: "**وحفظهم بدفع أصناف المكاره والمضارّ والشرور عنهم**" أي يحفظهم بحفظ ما سخّره لهم، ويحفظهم بدفع أصناف المكاره والشرور والمضار عنهم. "**وهذا الحفظ يشترك فيه البَرُّ والفاجر بل حتى الحيوانات وغيرها، وقد وَكّل ببني آدم ملائكة يحفظونهم بأمر الله، كما قال سبحانه:** {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد: ١١]" {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ} أي يتعاقبون، {مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} أي بأمر الله، "**أي يدفعون عنه بأمر الله كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.**"

ومن أجل أن تلاحظ أثر هذا الاسم جيدًا، انظر إلى الصغار عندما يسقطون قريبًا جدًا من شيء خطير، أو يُجرَحون قريبًا من أعينهم، ترَ آثار معاملة الله لهم باسمه الحفيظ، أحيانًا تسمع دويَّ سقوطِ شيء على الأرض، ثم ترى شخصًا قام على رجله كأن لم يحصل له شيء، قد نتصور بخيالنا أنه حصل له كيت وكيت، ولكنه محفوظ بحفظ الله.

**كلما زاد سوء الظن بالله زادت عليك البلاءات**، في الزمن الماضي تتمّ كثير من الولادات بدون قَابِلَة أصلًا، ومع وجود كل الأدوات اليوم ترى وتسمع العجب، ثوانٍ ينقص فيها الأكسجين يحصل كيت وكيت، لماذا يأتي هذا مع كل التطور الذي يعيشه الناس؟ يُعقل أن يكون هذا في الزمن الماضي، ولكنك تكاد تقول إن وجود واحد في الزمن الماضي مشلول الأطراف لأن الأكسجين تأخر عليه مدة ثوانٍ أمر نادر، لماذا؟ لأن التوكل على الحفيظ كان سببًا للحفظ، واليوم تجد الناس يقولون: "الطبيب، المستشفى، الأجهزة، الممرضة ...إلخ" هذه الكلمات جلبت البلاءات. وباستقراء الواقع نرى أن كثيرًا من اللاتي معنا هنا في القاعة اليوم ولدتهم أمهاتهم في بيوتهم ومع ذلك خرجوا أصحاء، وُلِد الواحد والاثنان والثلاثة والعشرة، وكلهم أصحاء، لم ينقص الأكسجين على أيٍّ منهم، مع أن الأم كانت تعمل في البيت وكانت مرهقة، ثم ينزل هذا بحفظه! أليس هذا أمرًا عجيبًا؟! واليوم بكل هذا التطور وقائمة الأمراض في تزايد، وبالأمس – كما نفكّر: - مع ما كانوا عليه من التخلف كانوا محفوظين بحفظه، فانظر ماذا جنَيْنا على أنفسنا؟ **ليست الحضارة التي جنَتْ، توكُّلنا عليها هو الجاني، أما الحضارة بنفسها فنعمة عظيمة من الله، لكننا حين اتّكَلْنا عليها كانت نكبة على أهلها**، لذلك لا تثق بغيره حفيظًا وإلا سيكون ما تثق به هو عينُه سَبَب ضعف القلب، ومن ثَم يُسَبِّب لك البلاء، ومن تعلّق بشيء وُكِل إليه.

لا يُطمئنَنّ أحدُكم أخاه وقت الأزمات بأن يقول له: "لا تخف فالطبيبة ماهرة، لا تخف فالمستشفى ممتازة، لا تخف فأمك معك"، فهذا كله من العبث في العقائد، و**الصحيح فقط: "لا تخف ولا تحزن فإن الله معنا"**، هذه هي العقيدة التي يجب أن ترسخ في قلوبنا ثم ستخرج قطعًا حين الأزمات في قلوب من نربيهم مباشرة.

هذا كله داخل في الحفظ العام: أن الله –عز وجل– يحفظ كل أحد، بَرًّا كان أم فاجرًا، حتى الحيوانات وحتى هذه الأرض بتفاصيلها في حفظه سبحانه وتعالى.

قال: "**والخاص: حفظه لأوليائه – إضافة إلى ما تقدّم –**" يعني إضافة إلى الحفظ العام هناك حفظ خاص "**بحفظ إيمانهم من الشبه المضلة والفتن الجارفة والشهوات المهلكة، فيعافيهم منها، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيد الأعداء ومكرهم كما قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}** [الحج: ٣٨]"

نناقش نوع **الحفظ الخاص**، –الذي نرجو الله أن نكون من أهله–: هو حفظ الإيمان الذي هو سبب السعادة.

**ماذا يمكن أن يضر بالإيمان؟** الله –عز وجل– جعل من سنّته أن الإيمان يُختَبَر؛ فهناك من الناس من يدَّعي الإيمان وهو يعبد الله على حرف، {فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ} مَن كان صادق الإيمان تأثيه الفتن بأن تنقص عليه الخيرات، أو تجتاحه بعض الاجتياحات، لكن إيمانه مع ذلك باقٍ، فلا يجعل رضاه عن ربه مرتبطًا بصلاح الدنيا، كمن لسان حاله: "يا رب إن أعطيتني الدنيا رضيت وإن لم تعطنيها لم أرضَ" هذا هو الذي يعبد الله على حرف؛ إن لم يعطه الله يقول: "لِمَ يا رب؟، أنا صمت وصليت وفعلت كل شيء". **المحفوظ هو الذي يحفظه الله؛ يحفظ إيمانه فلما تنزل البلاءات والمصائب عليه يبقى راضيًا عن ربه**، ويعلم أن كل بلاء زيادة للدرجات، وإن نجحتَ في البلاء رُفِّعْتَ وجعلك الله من أوليائه.

ثم إن الله يعلم صدق العباد، فإذا كان العبد صادقًا يبتليه الله ويحفظ عليه إيمانه وقتَ البلاء، وقتما يقع عليك البلاء يُذكِّرك الله بآية أو نَصٍّ، وقبل أن تُبتلى يرسل لك من الأحداث والكلام والمواقف التي تقول لك: انتبه، إذا مرّ بك كيت وكيت فافعل كيت، وكأنك لُقِّنْتَ ماذا تفعل، هذا من عظيم حفظه. تكون في وسط أزمة وكدْتَ أن تبطر على الزوج أو البيت أو العمل، ثم يأتي أحد يقول لك: "أنا والله مررت بظروف كذا وكذا واتخذت قرار كذا ثم ندمت عليه"، فكأنه يقول لك: "لا تفعل مثل هذا الفعل". **ولو تأمّلت كيف يحفظ الله الإيمان لرأيت عجبًا، فمن تمام لطفه أن يختبرك ليُعلّيك، ويُعلِّمُك قبل أن يختبرك كيف تنجح في الاختبار، المهم أن تكون فطِنًا**. لكن من هو البصير الذي يقرأ أفعال الله ويُتقن فهمها ثم يعامل الله بما هو أهله؟ ولذلك نسأل الله –عز وجل– أن يجعل في قلوبنا من البصائر ما يجعلنا ننتفع بكل شيء حولنا.

---

[١] (الحج: ١١)

اعلم أن سنن الله في الكون وفي معاملة الخلق واضحة لا تُحَابِي أحدًا، مثلا: يتصور أحد أنه يذنب والله راضٍ عنه، يذنب ويرى النعم باقية فيتصور بقاء رضا الله عنه، نقول له: انظر إلى من بجوارك: (جار، أو عم، أو خال) كان يتصور أن الله راضٍ عنه ثم حصل له كذا وكذا، ورأيت النتيجة بنفسك، هذه سنة الله فلا تغترّ.

كثير من الألفاظ التي لا نُبَالي بها، ونطلقها دون أن نفكّر، يربينا الله عليها لتعرف أن ألفاظك في ميزانك، فكن حذرًا. تقول عن فلان: "هذا كذَّاب"، غدًا يأتي من يقول عنك: "هذا كذَّاب". ليقال لك: الله حفيظ على أعمالك فاحفظ عليك لسانك، كل هذا من أنواع حفظ الله لإيمان العبد، وكلما زاد العبد إيمانًا زاد حفظ الله له، فتراه يكره الفحشاء وتُصْرَف عن قلبه أماكن الفسق، فيكرهها قلبه حقيقةً ولا يفتعل هذا، هذا كله من حفظ الإيمان.

**مشكلة الشُّبَه والفتن:** تنتشر في المجتمع فتاوىً أو دعاوَى تُقَلِّل من قيمة حرمة شيء معين، أو تُحبِّب الفحشاءَ والمنكر، فالذي في نفسه هوى يطيرُ بهذه الفتوى، أما محفوظ الإيمان فيبغضها قلبه، ويبغض أن يتحول الحرام حلالًا لمجرد الهوى، لا يتجرأ على عباد الله لكن في قلبه لا يقبل الاستهانة بِحُرُمات الله. كل هذا من أنواع الحفظ.

**الشهوات المهلكة:** حين أتت فتنة الأسهم ظهر كثير ممَّن حفظ الله عليهم إيمانهم، كانت عندهم شهوة في داخلها شبهة، المشكلة ليست في نفس التعاملات فقط، بل المشكلة فيما وقع من جري وراء الدنيا ولهث عليها، فالمحفوظ وقتها هو الذي حفظ الله عليه قلبه في اتخاذ قرار سليم: أن هذا باب إن كان حلالًا ١٠٠% فإني لست مستعدًا لِلَّهَث وراء الدنيا، هذا إن كان صافيًا ١٠٠%، فكيف لو كان مشبوهًا؟!

فيقال لك: إن من حِفْظِه حفظُه العبادَ من الفتن الجارفة والشبهات المضلة والشهوات المهلكة، يدبر لهم من الأوضاع والأحوال وقراءة الأحداث، وبُغض القلب لأحوال معينة وانصرافه عنها، ينام مثلًا فلا يذهب إلى مكان المعصية، أحوال كثيرة كلها من أجل حفظ دينه وإيمانه عليه.

"**ويدفع عنهم كيد الأعداء ومكرهم، كما قال سبحانه:** {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}[الحج: ٣٨]" من حفظه سبحانه وتعالى لإيمان عباده المؤمنين، **أنهم لا يشتغلون بالمدافعة عن إيمانهم** بل هو سبحانه وتعالى يدافع عنهم، مثلًا أُتُّهِم فلان بأنه مُرَاءٍ، أو بأنه يأخذ الأموال والزكوات وينفقها لصالحه، أيًّا كان ذلك الاتِّهام: يُغفله الله عز وجل أوّلًا عن الاتهام؛ لأنه إن

سمعه انشغل قلبُه، فمن حفظ القلب أن يُغفله الله عن الاتهام، ثم يدبّر للمُتَّهِمين من الأحوال والأوضاع ما يُظْهِر صدقَه، وهو أصلًا ما علِم أنه مُتَّهَم ولم ينوِ أن يُظْهِر براءته، فمن حفظ الإيمان أن لا يشغلك بالدفاع عن نفسك.

ولهذا حين يستقرّ في قلب العبد حفظ الله لا يبالي بالكلام، ولا يَتَتَبَّع ولا ينشغل، مع أنه لا بدّ أن يُختبر اختبارات، فيقول له أحد مثلًا: "تعرف ماذا قالوا عنك؟" انظري إلى عائشة -رضي الله عنها-وحادثة الإفك، بقيت زمنًا وهي غافلة عنها، وهذا من الحفظ أن تبقى غافلًا، وحين يقترب الفرج ويأتي وقت الدفاع تنكشف ليأتي اللّجوء والانكسار، فتَتذلّل وتنكسر وأنت في عنق الزجاجة فيأتي الفرج. فهذا من حفظ الله عز وجل لإيمان العباد، أنه يدافع عنهم فلا ينشغلون إلا بما يزيد إيمانهم، **وكلما زدت ثقة في حفظه زادت عليك آثار حفظه لك**.

قال: "**وعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: "احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ"، أي: احفظ أوامره بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعدّيها، يحفظك في نفسك ودينك ومالك وولدك وفي جميع ما آتاك الله من فضله.**"

ثم إن هذا الحفظَ الخاص حفظُ تنمية (يُنَمّيه) فترى ما أعطاك محفوظًا ناميًا، والنماء على قدر الشكر، يحفظ الله العبد بسبب حفظ للأوامر؛ إذْ نفسُ حفظِه لحدود الله وأوامره يُعَدّ شكرًا، {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} . فالعبادة كلها اسمها شكر[1]، وكلما زِدت عبادة زدتَ شكرًا، فيحفظ عليك إيمانك وما آتاك وينمّيه لك وأنت تعبده أي تشكره، فيأتي الحفظ مع التنمية.

وانظري، حين يبدأ البيت صغيرًا كالنواة، لا يوجد فيه إلا الزوج والزوجة فقط، ثم يأتي الأبناء فتأتي البركات، ويصبح هذا البيت بيت الآمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر، الذاكرين لربهم، الآمرين بالصلاة ...إلخ، كل هذا من أنواع الحفظ. أنت تفعل هذا وتُنَمّيه، ماذا يفعل الله لك؟ يحفظك ويحفظ ما أعطاك ويُنَمّي لك ما رزقك إياه. إذًا حفظُ الله لما أعطاك، حفظٌ مع التنمية.

يبقى أن نُفَصِّل في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- والعلاقة بين "احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْك" وبين آخر الحديث "واعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ".

---

[1] (الإنسان: ٣)

# اللقاء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفقنا على أن اسم (الحفيظ) يدور معناه حول معنيين:

- المعنى الأول: إحاطة علمه لأعمال العباد كلها ظاهرها وباطنها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وعلمه بمقاديرها ثم مجازاتهم عليها. (أي: حَفِظ أعمالهم عليهم، وسيجازيهم عليها).
- المعنى الثاني: أنه تعالى الحافظ للمخلوقات، وأيضًا هو سبحانه وتعالى حافظ للذكر، يحفظ لهم ما أنعم به عليهم، وحافظ لهم عن ما يكرهون.

ومن هذه النقطة -أن الله حافظ عباده عن ما يكرهون- سينقسم حفظه سبحانه وتعالى إلى نوعين:

- الحفظ العام: الذي يدخل فيه كل أحد.

ما معنى أن الله عز وجل يحفظ الخلق حفظًا عامًّا؟ أي: يحفظهم بتيسير الطعام والشراب لهم، وهدايتهم لمصالحهم، وعلى هذا فإن كل ما تراه من هداية الخلق لمصالحهم وكل الاختراعات التي تجدها تعتبر حفظًا عامًّا؛ لماذا؟ لأن الله يحفظ على العباد ما أنعم به عليهم، ويهديهم لزيادة الانتفاع.

- الحفظ الخاص: حِفظه سبحانه لأوليائه من ثلاث: من الشُّبَه المُضِلَّة، والفتن الجارِفَة، والشهوات المُهلِكَة.

وهذا يتعرض له الإنسان في حياته. يكون مع الإنسان إيمان فيختبر الله إيمانه، وكلما زاد العبد صِدقًا في إيمانه كلما زاد الله له حِفظًا، وعندما تأتي الفتنة يُنَبَّه العبد كيف يتصرف فيها.

فنرى بهذا كيف أن **الله عز وجل من تمام مِنّه على خلقه أن يحفظ عليهم ما معهم من إيمان**، فإن كانوا صادقين في إيمانهم، صادقين في إرادة وجهه، صادقين متعلّقين به، يريدون الدار

الآخرة، فإن الله يبتليهم أولًا، وهذا الابتلاء من سننه، كما قال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[1]، فيبتليهم ويرفعهم، وفي الوسط -بين الابتلاء والرفع- يعلمهم كيف يتصرفون حينما تنزل عليهم البلاءات. هذا معنى حفظه سبحانه لدينك.

تُبتلى بالفتن لكن الله يعلمك كيف تتصرف فيها، وهذا التصرف الذي يعلمك إياه لا يدركه إلا من كان بصيرًا؛ لأن **الناس تجاه أفعال الله وتربيته سبحانه لخلقه نوعان**: **أعمى وبصير**:

أما البصير فهو يرى أفعال الله التي تدور حوله في كل الأحداث بعين مَن يعلم عن ربه، فأنت كلما زدت علمًا عن الله صار في قلبك مثل الشفرة التي تترجم بها الكلمات والأحداث، فتقول: هذا من منِّه، وهذا من كرمه ولطفه وإحسانه وهكذا، ولذلك تجد هذا العبد يُتقِن {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث}[2]، فتجده يقول: أعطانا الله، رزقنا الله، سخّر لنا الله... **يعرف كيف يترجم كل الحياة من أسماء الله وصفاته، وهذا من أعظم أنواع الحفظ للإيمان. والله يحفظك على قَدر حِفظك أنت له**، "احفظ الله يحفظك"[3].

إذًا: فهمنا أن الله يحفظ عليك إيمانك، فحينما تأتي الشبه والفتن المُضِلَّة يضيع الناس ويهتزّ إيمانهم وتدخل لهم هذه الشبه، وأنت تجد نفسك ثابتًا أمامها، فكثير من الناس يكتشفون من أنفسهم وقت الفتن أنهم يعبدون الله على حرف، {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}[4]. من الذي يحفظ عليك إيمانك؟ ويحفظك من أن تنقلب على وجهك عند الفتنة؟ لا يحفظك إلا الله.

الناس وقت الفتن يفقدون تمييزهم للأمور، وهذا مثل ما يحصل للعبد في الأحداث السريعة —هذا مثال لا يتصل بالفتن، وإنما يتصل بالأحداث، نسأل الله أن يحفظ المسلمين!- ماذا يحصل في الحرائق؟ يفقد الإنسان صوابه، ويحصل له الفزع، فيهرب تاركًا وراءه أشياء كثيرة. لكن من الذي يُثبّت على العبد عقله ودينه، ويجعله يثبت في لحظة، ويرتّب أولوياته، ويهديه إلى الصراط، ويخرج من المكان بطريقة صحيحة؟ لا يفعل هذا كله إلا الله.

[1] (العنكبوت: ٢)
[2] (الضحى:١١)
[3] رواه الترمذي في سننه/ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/ (٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح.
[4] (الحج:١١)

تصور الفتنة كالحريق! حين تهبّ الفتنة على الأمة، وتأتي مسألة تهزّ إيمانها، من الذي يدلّك على المخرج، ويثبّتك، ويَصرِف عقلك عن التفكير فيها، ولا تجد أنها سببت لك شكًّا؟ من يفعل لك ذلك؟ ما يفعله إلا الله! **يحفظ الله عليك الإيمان عند الفتن إذا حفظته وقت الرخاء.**

سنناقش الآن قاعدة: (**تَعَرَّف إلى الله في الرّخاء يعرفْك في الشدة**)[1].

احفظ الله في الرخاء، فحين تأتي الفتنة التي تقلب تفكير الناس، وحين تأتي المسائل التي تشتّت المستقيمين، تمرّ عليك فلا تتأثر، ولا تجد نفسك مفتونًا؛ لأنك عبدٌ حفظت الله في الرخاء، فحين تأتي الفتن يحفظك الله؛ لأن الفتنة هي الشدة.

**كيف نحفظ الله في الرخاء ليحفظنا دائمًا، وخاصة في الشدة؟**

يقول الشيخ عبدالرزاق –حفظه الله-: "أي: **احفظ أوامره بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعدّيها، يحفظك في نفسك ودينك ومالك وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله، وقد مدح الله عباده الذين يحفظون حقوقه وحدوده فقال تعالى:** {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[2]، وقال: {هذا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ الرحمن بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ}[3]".

إذًا: المؤمنون مِن أوصافهم أنهم حافظون لحدود الله، أنهم أوّابون حفيظون.

**ماذا يدخل في الحفظ؟**

قال: "**ويدخل في هذا: حِفظ التوحيد من نواقضه ونواقصه، إذ هو أعظم ما ينبغي أن يُحفظ ويُصان**".

---

[1] روى أحمد في مسنده بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا غلام –أو يا غُلَيم– ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟" فقلت: بلى. فقال: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة..." الحديث (٢٨٠٠).

[2] (التوبة:١١٢)

[3] (ق:٣٢-٣٣)

أول نقطة في الحفظ: احفظ التوحيد الذي مكانه القلب، احفظ قلبك من الالتفات لغيره.

**ما هو التوحيد؟** أن يكون قلبُك لواحد، متعلقًا به، منتظرًا منه الخير، ترجوه، تخافه، ترى آثار صفاته في الأحداث التي تدور حولك، لا ترى من وراء أي شيء إلا الله، وهذا التفسير كله في قلبك.

وغالب الاختبارات تدور حول هذا التوحيد، فالنجاح والرسوب دائر حول التوحيد؛ لأنك وأنت ماشٍ في طريقك إلى ربك وقلبك إليه راحل **لا بد أن تأتيك قواطع يختبرك الله بوجودها، إن تلتفتْ إليها لا يبقى قلبك معلقًا بالله.**

**أهم القواطع التي نُبتلى بها في التوحيد: الأسباب.**

لا بد أن تعتقد أولًا أن الأسباب اختبار، اختبار يأتي في طريقك وتُختبر فيه بالتوازن، وهو أن تأخذها وأنت تعتقد ألّن ينفعك إلا الله، ولو ما أخذتها تُلام، ولو اعتمد قلبك عليها تُلام، **فتسير بأقدامك بالصورة وقلبك عند باب الله واقف**، والمعنى أن العبد يعلم أن الذي سخر الأسباب هو الأول الذي ليس قبله شيء، وأن الذي يعطي النتائج هو الآخر الذي ليس بعده شيء، فلو ناقشنا بعقولنا: مَن الأول: الله أم الأسباب؟ سنجد أن الله هو الأول، والأسباب من عطاء الله، فإذا أراد الله شيئًا هيّأ له أسبابه.

فحين يمر على خاطرك مرادٌ ما، اطلب ممن يملك الأسباب أن يهيّئ لك الأسباب، ثم انظر: هل كل من تهيأت له الأسباب انتفع بها؟ لا. إذًا اطلب ممن يملك الأسباب أن يهيئها لك وأن ينفعك بها، فإذا هيأها الله لك وانتفعت بها سيعطيك ثمرتها.

أحسن مثال يبقى في العقل هو قوله تعالى: {أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} .[١]

[١] (الواقعة:٦٤)

لنناقش هذا المثال: ماذا يرى المزارع في نفسه تجاه الثمرة؟ يرى أنه هو الذي يزرعها، وعندما نناقش تفاصيل المسألة سنجد أن الزرع ناتج بذرة، ونضع كل العوامل التي تكوّن الزراعة: (الشمس، والتربة، والماء، والهواء، والحرث) ونبحث عنها كلها: مَن أعطاك البذرة والتربة والشمس والماء؟ الله. حولك وقوتك التي تحرث بها الأرض من يعطيك إياها؟ الله. هذه العوامل كلها التي هيّأها الله من أجل أن تُلقي الحبة في التربة فقط، وبعدما تضع الحبة في التربة يتوقف عملك! {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ} ، فلا تتدخل أنت في فلْقها، ولا في نموّها، ولا في اختراق جذورها إلى الباطن، ولا في شقّها الأرض إلى أعلى، كل الذي تفعله أن تستخدم الوسائل التي هيّأها الله، وتجمعها بحول الله وقوته، ثم فالق الحب والنوى يفلق البذرة. وحتى الثمرات ليست فعلك، إنما الله عز وجل هو مُخرِج الثمرات. انتهى الأمر! {أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}.

فهذا يبيّن لك أن الأسباب ابتداء من الله، وأن النتائج انتهاءً من الله، وما هو دورك في الوسط؟ لو تركت الأسباب تُلام، ولو اعتمد قلبك عليها تُلام، وهذا هو الاختبار. ولو كان الاختبار أن تعتمد على الله فقط فما أسهل هذا الاختبار! ولو كان الاختبار أن تجري بقدميك، وليس لك حول ولا قوة إلا بالله {وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا} ، فلن يمكنك مع ضعفك أن تزرعها. إذًا: المطلوب هو هذا الاختبار الصعب: أن يسير البدن في طريق، والقلب عند باب الله واقف، **ويعلم أنه مهما اجتمعت الأسباب والله عز وجل لا يريد الأمر فلن يكون، ومهما عُدِمت الأسباب والله أراد أمرًا فإنه سيُهيّئه في لحظة.**

فأهل "جدة" وقتَ الصيف والحر، ودرجة الحرارة في الظل ٤٥ْ، يبيتون ليلة ثم يخرجون في العصر فيرون غيمًا ومطرًا، من أين لنا هذا إلا أن مالك الملك جمعه من غير حول لنا ولا قوة، فبدأنا النعمة وأظهر لنا خطأ التوقعات التي تُحسَب في عقولنا، كأنه يقال لك: اعلم أن الله على كل شيء قدير، ومهما كان هناك من السنن باجتماع أسبابٍ تظنها تنفع: فإنها قد تجتمع ولا تنفع، فكم مرّ على "جدة" من سحاب كثيف ولم تُمطِر؟ ومرات لم تنتظره ويجمعه الله لك؟! كم من عقيم بقي السنين الطوال لا ولدَ له، ثم أعطاه الله من غير حول له ولا قوة؟ وكم

[1] (الأنعام: ٩٥)
[2] (النساء: ٢٨)

وكم...؟ ابحث في عقلك وستجد أنه على كل شيء قدير، وأنه **امتحن قلبك ببقاء التعلق به، وامتحن بدنك بالسعي**، قال صلى الله عليه وسلّم: "لو أنكم تتوكَّلُونَ على اللهِ حقَّ توكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرزُقُ الطيرَ تَغْدُو خِمَاصًا وتروحُ بِطانًا" ، ماذا تفعل الطير؟ تغدو،[1]وهنا الاختبار: اغدُ وقلبُك معلق بالله عز وجل.

**قد تغترّ بالتمكين مع تكاثر الأسباب وتمكين الله لك**، مثلًا: أنا أكتب طوال عمري، وأفهم ما أكتب، وفجأة وأنا في الوسط وأنا متأكدة من كوني أُجيد الكتابة: أجد كلمة لا أعرف كيف أكتبها! هذه الإشارات تأتي في الوسط لتبيّن لك أنك عاجز، وأنك لابد أن تقول: "يا رب أصلِح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين".

إذًا: الفتن التي تأتي على التوحيد كثيرة، تكاد تكون بعدد الأنفاس من كثرة ما نُختبر في توحيدنا. لا يلتفتْ قلبك لغيره، لا تتعلق بغيره، لا تسأل غيرَه، لا تظن فيه إلا خيرًا، لا تنتظر من رب الخير إلا خيرًا، كل هذه امتحانات على القلب: عليك أن تبقى مُحسِن الظن به، تنتظر منه كل خير، لا تنتظر منه إلا الخير، لا ترى غيره يعطيك، ولا ترى غيره يرويك، لا ترى أحدًا يفعل على الحقيقة إلا هو سبحانه، وفي المقابل مطلوب منك أن تتحرك بالأسباب. **واختبار التوحيد هذا لن يتوقف؛ كلما زدت إيمانًا زاد اختبار التوحيد قوةً**، وقيل لك: اطلبه، وتعلق به، واسعَ بأقدامك، وقلبك لازال معلقًا به.

أول الحفظ: حفظ التوحيد، حفظ القلب ألّا يلتفت لغير الله، سواء في الطلب أو في المحبة والتعلق.

ومن المشاكل التي تحصل في التوحيد: امتلاء القلب حبًّا لغير الله، وتعلقًا بغيره، أيًّا كان المحبوب، ابتداءً من الناس وانتهاءً بالمادة، كأن يكون الإنسان عبدًا للدينار والدرهم والخميلة والخميصة –أنواع من اللباس الفاخر–، فيصبح الإنسان عبدًا لها من كثرة تعلق قلبه بها .[2]

وقد يحصل التعلق بالأشخاص، فيتعلق قلب هذا الشخص بغير الله، ولذلك أتت آية التوبة: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} ، وهنا الإشكال! فقد تجيء لحظة يدخل فيها

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/١١١)، خلاصة حكم المحدث أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[2] روى البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق/ بَاب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}/ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ! إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ"/(6071)

الإنسان في هذا الابتلاء العظيم، ويقع من قلبه قبول التعلق بغيره، ويصبح الآباء أو الأبناء أو الإخوان أو الأزواج أو العشيرة أو الزملاء في القلب أحب إليه من الله، فتراه متعلقًا بكل جوارحه بغير الله، ولسانه ذاكرًا للمحبوب، وجوارحه ساعية في رضاه، لا ينفك عنه تفكيره، قد أُصيب بالعشق! وإذا أُصيب الإنسان بالعشق فلا مكان في القلب حينئذ لمحبة الله، وهذه هي **سنة الله في الكون: قلب واحد لا يحمل إلا حبًّا واحدًا، فإذا تمكّن حبُّ غيرِ الله في القلب لا بد أن يخرج حب الله.**

**وهناك خديعة طويلة المدى تدخل تحت اسم (الحب في الله)، كثير من الأحوال تحصل فيها مواقف العشق تحت اسم (الحب في الله)!** ولذلك يجب عليك حفظ قلبك؛ فإنه لو امتلأ حبًّا لغيره لن يكون في القلب مكان لحب الله، سيكون هناك شيء من الإيمان، لكن كلما زاد حب محبوبٍ غير الله كلما ضعفت محبة الله.

حين تفتّش جيدًا في سورة الناس: {قلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ*مَلِكِ النَّاسِ*إِلَٰهِ النَّاسِ} ستجد أنك تقول من خلال هذه الثلاثة أسماء:

- أنا لي ربٌّ أوجدني، أعدّني وأمدّني، وأشهدُ على نعمه.
- وهو الملك الذي له كمال القدرة والعزة والتدبير، الآمر الناهي، وأنا له عبد.
- وهذا الرب الملك: محبوب –إله-، وأرى من آثار ربوبيته وملكه ما يجعله لي إلهًا.

يدور معنى كلمة (إله) حول الوَلَه، وهو شدة المحبة مع شدة التعظيم، أي: أنك تحبه لأنه ربٌّ مُنعِم، وتعظمه لأنه ملك عظيم، فيجتمع في قلبك التأليه –مشاعر الحب مع التعظيم-، وهذه المشاعر قد تُصرَف لله، و**قد يحصل عدم حفظ القلب على الله، فينحرف قلبك لتعظيم غيره وحب غيره –أي: تأليه غيره-، فتأتي أعظم المصائب وهو فقدان القلب، وبعد ذلك لا تسأل عن البدن، فتراه يجرّ نفسه جرًّا للطاعات، وتصبح الصلاة أكثر الطاعات ثُقلاً عليه، تكاد لا تراه يذكر الله في اليوم كله، ثم تبحث عن هذه الصفات فتجدها في سورة النساء وصفًا للمنافقين!** فانظر إلى قلبك؛ أَهو مَكانٌ للإيمان أو النفاق؟

---

[1] (التوبة:٢٤)
[2] (الناس: ١-٣)

ولذلك تأتي الآية العظيمة في سورة الحديد بعد أن يفترق المؤمنون عن المنافقين، ويُضرب بينهم بسور: {يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ} [١]. **من أين أتت فتنة النفس؟ من تعريض القلب للمحبوبات غير الله؛ كل يوم يقلّب النظر بحثًا عن محبوب جديد**. وهذه المصيبة تنزل على قلبٍ ينتقل بعد التعلق بشخصٍ ما ليفتش عن شخص آخر، فترى قلبه اعتاد على التعلق بغير الله، وثُقِب قلبه بهذا التعلق.

ولذلك لا بد في مرحلة النضوج وبداية البلوغ أن تُلقَّن البنت وأن يُلقَّن الولد مسألة (حِفظ القلوب): أنّ عليهم أن يحفظوا قلوبهم من التعلق بغيره، أما درجة المحبة الطبيعية فمعلومة مفهومة لا يوجد بها نقاش، لكننا نتكلم عن آية التوبة: {آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ} إلى أن وصلنا إلى {أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}، وصلنا إلى حال أَخرَجَ فيها حبُّ غيرِ الله حبَّ الله من القلب.

**ما علامات هذا الإخراج؟** ثلاث علامات في السمع والبصر والكلام:

١- القلب المريض الذي أُصيب بالعشق: لا يتكلم إلا عن محبوبه.

٢- ولا يسمع ولا يطرب إلا لكلامه؛ ولأجل ذلك تراه شديد الحرص على الاتصال الدائم به.

٣- ثم إن عينه لا ترى إلا محبوبه.

لا يرى في قلبه لأي شيء طعمًا، أصبح لسانه ذاكرًا له فقط، وعينه لا ترى إلا إياه، وسمعه لا يتلذّذ إلا بسماع كلامه، وفي النهاية تجد له قلبًا لم يمتلئ إلا بهذا المحبوب، ولهذا نقول:

- **احفظ على نفسك سمعك وبصرك لتحفظ فؤادك.**

- ونقطة الانطلاق في الحفظ: "احفظ الله يحفظك"، **احفظ التوحيد**؛ لا يلتفتْ قلبك لغير الله لا تعلّقًا – الذي هو العشق –، ولا طلبًا، ولا رجاءً – التي هي مسألة الأسباب–.

---

[١] (الحديد:١٤)

- **واحفظ شعائر الإسلام** ولا سيّما الصلاة، ولا زلنا بهذا في نقطة: "احفظ الله يحفظك".

**ما طريقة حفظ الصلاة؟**

١- يبدأ حفظ الصلاة من نقطة **الوقت**.

فأحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها ، واعلم أن سؤالَك اللهَ –بعد أن يقول المؤذن: "حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح"– أن يعطيك الحولَ والقوة سبب لأن تكون الصلاة أيسرَ عليك في أوّلها، واعلم أن الشيطان يُثقلك، ويُشغِلك، ويُشتّتك، فاتخذه عدوًّا.

٢- **تطابق لسانك مع قلبك وأنت تصلي.**

الصلاة عندنا رحلة في عالم التفكير! كل المشوّشات التي لم نفكر فيها من الصباح نفكر فيها أثناء الصلاة! وهذه مشكلة حقيقية! فاحرص على الجمع بين لفظك بلسانك وما ينطوي عليه قلبك؛ **فمِن حفْظ الصلاة: أن تفهم كل الأذكار التي تقولها في الصلاة**. مثلًا: يجب أن تفهم معنى "الله أكبر"، يجب أن تفهم معنى صفة الكبرياء، وتفهم معنى أن الله هو العلي الكبير، كل هذا لابد أن تفهمه بعُمق.

ولابد أن يحصل توازن؛ لأن كثيرًا ممّن يسمع هذا الكلام وهو غير متّزِن نفسيًّا نخشى أن يسبّب له وسواسًا. دائمًا ضع أمامك قاعدة: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} ، افعل ما دُمت ٢
تستطيع، لكن إن كنت سويًّا ليس بك بأس من هذا النوع فاجتهد وراجِع؛ لأن المسألة تحتاج لتكرار ومراجعة دائمة ليبقى معنى الذِّكر واضحًا. ما معنى: الله، الرحمن، الرحيم...؟ كل هذه الأسماء لا بد أن تكررها على نفسك، وأن تتشبّع بها، وسترى الأثر السريع الذي سيقع في قلبك.

---

[١] روى البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة/ باب فَضْلِ الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا/ عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه أنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا..."الحديث (504)

[٢] (التغابن: ١٦)

# اللقاء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسَّلام على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مرَّ معنا خلال الأيَّام الماضية النِّقاش حول اسم الحفيظ الحافظ، وأنَّ **هذا الاسم يدُور معناه حول معنيين:**

١-حِفظُه سبحانه وتعالى لأعمال عباده، **واسم الحفيظ هنا له علاقة باسم العليم**: يَعلَمُهَا، يَحفظُها، يُحاسِبهم عليها.

٢-أنَّ الله سبحانه وتعالى يحفظُ عباده، يحفظ ما آتاهم ورزقهم، يحفظ السماوات والأرض، يحفظ الذِّكر، يحفظ مصالح النَّاس.

واتَّفقنا أنَّ **الحفظ نوعان**: عامٌّ وخاص.

- **فالحفظ العام**: يشترك فيه كل النَّاس، يحفظ عليهم ما ينفعهم في دُنياهم.
- **والحفظ الخاص**: حِفظُه سبحانه وتعالى لأوليائه: للمؤمنين المتقين، وحفظ الله لأوليائه على حسب درجة إيمانهم. كلَّما زاد إيمانهم زاد حفظ الله عز وجل لهم. واتَّفقنا أنَّه سبحانه وتعالى يحفظهم من الفتن والأهواء، ونقص الدين، فلابدَّ أن تعلم أنَّ بلاءات كثيرة تتكرَّر عليك، وتهز إيمانك، وتُختبر فيها ليظهر هل كنت تعبد الله على حَرف أم أنت متيقنٌ به سبحانه وتعالى.

إذا تذكّرت اسم الحفيظ تذكَّر آية الحج، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}[1]. كأنك دائمًا تسأل الله عزَّ وجل أن يرزُقك إيمانًا وأن يحفظَه عليك، لأنك تخاف أن تأتي الفتنة التي تكشف لك نفسك، فتكون ممَّن يعبد الله على حرف، ومهما تصوَّرت أنَّك صاحب يقين، فالمواقف والأحداث تُظهر -في أحيان كثيرة- نقصًا. فمثلًا: كثير من الأحيان تكون نفسيَّة الشخص مُعتدلة وليس لديه أحقاد، حتى يبلغ الثلاثين أو الأربعين

[1] (الحج:١١)

من عمره وهو صافي القلب، ثمَّ يمرّ بتجربة أو بموقف فيجد نَفسَهُ ممتلئًا حقدًا، بعد أربعين سنة اكتشف أنَّه قد يحقد، ولبثَ الزمن الماضي كلّه وهو يتصوَّر عن نفسه أنَّه صافي القلب، ربما كان قلبه صافيًا حقًّا، لكن انكشفت له الآن في نفسه صفة لا يعرفها.

أنت بحاجة دائمة أن تسأل الله عزَّ وجل أن يحفظ عليك دينك، وحاجتك لسؤال الله ليس رأينا وليس رأي أحد، بل علِمناها من حديث النبي صلَّى الله عليه وسلم: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" ، ينبغي أن تعتقد بقلبك أن هذا الدين إن لم يحفظهُ الله فلن يُحفظ بعاصفة من الخوف، أنت ترى حولك فتنًا تكاد تتعب بعَدِّها، وبمعدَّل كل يوم –لمن له علاقة بالأحداث– تجد شيئًا يُثار، وموضوعًا يُطرح ويَهُز الدِّين، وهذا يُناقش وذاك يقول رأيه والآخر يعترض، وكل يوم ترى بلوى جديدة تدل على نقص دين الناس وضعف إيمانهم، بلوى تدلّ على تحليل الحرام، والاستهانة بالعظيم، النّاس ضعف تعظيمهم لله والدين، وأنت في تيَّار من قلَّة التعظيم وقلَّة التوقير للدِّين، وفي داخلك شهوات ورغائب وأمور كثيرة أنت في الأصل تحُبُّها، ومنعت نفسك عنها لأنَّ الدين قال لك: لا، فجاء من شبَّه عليك، ورُبَّما قال لك: "إنَّ المسألة مترددة بين الحلال والحرام" كلّ هذا يجعلك حقًّا تخشى على دينك. كلما زاد احتكاكك بالمواقف والأحداث والنّاس، خاصةً الأشخاص الذين في داخل الفتن – تعرّضت لمن يفتنك.

حينما تسير في طريقك وترى شخصًا مستقيمًا، ممتلئًا إيمانًا، وذا صلاةٍ كثيرة، ثمَّ تَنكشِف لك صفحة تدُلّ على فِسقه وفُجوره وأكله المال الحرام: فتنهار في داخلك القيم وتشعر بالضعف وتقول: "إذا كان هذا الذي مظهرُه كلُّه إيمان هذه حالُه، ماذا أفعل أنا؟! طبيعي أن يصدر منّي مثل هذا". نحن لا نُعلِّل التَّصرُّفات، نحن نقول هذا من البلايا والفتن، ولا نُشير له ونقول إنَّه منافق، الله أعلم بما قام في قلبه، والله أعلم بماذا هو مفتون أيضًا.

هذا كلُّه يجعلك تُردد دائمًا مستشعرًا حاجتك إلى الثبات: **"يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"** والمفهوم الذي في هذا الحديث هو نفس فهمك لاسم الحفيظ، فكونك تقول: "**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**" معناه: احفظ عليَّ إيماني ونمِّه.

[1] عن أَنَسٍ رضى الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ" رواه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، (٢١٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، (٢١٤٠).

ثم اعلم أنَّ كل مسلك باطل يُنقِص جزءًا من إيمانك، تُجمّع الحسنات بالطَّاعات والصَّلاة والذكر، ولا تحفظُ الله في قلبك ولا في صلاتك، ولا تحفظه في سمعك وبصرك وفؤادك، كُل نقص، وكُل نظرة محرّمة، أو سمع محرم، أو كلمة محرَّمة تُنقِص من إيمانك، فاطلب من الله عز وجل أن يحفظ عليك قلبك وإيمانك، والحفظ من لوازمه التنمية، أي: يحفظ عليك الإيمان وينمّيه لك.

واعلم أنَّ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} لا تأتي أبدًا إلّا بـ {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[١]، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}: غاية و{إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}: وسيلة، لا تبلُغ الغاية إلّا بالوسيلة، ولا ينمو إيمانك إلّا بحفظ الله لك. ولهذا من كان في أوَّل شبابه، وأنعم الله عزَّ وجل عليه بالصحة والعافية والسَّمع والبصر، فليأخذ من هذا كلِّه ما يزوّدُه لامتلاء الإيمان بقلبه، ولا يستهِن بالصغير؛ لأنَّ كُل صغيرٍ نقصٌ، فتتعب وتجمَع حسنات تزيد إيمانك ثم تذهبُ بها بهذا الصغير الذي لو اجتمع أشعل نارًا.

ألم يضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثالًا للصغائر بقوم اجتمعوا في وادٍ، لهم لحم يُريدون إنضاجَه، ويحتاجون نارًا، فيأتي هذا بعود، وذاك بعود وآخر بعود، وتجتمع الأعواد فتشعل نارًا تُنضج الطعام[٢]، **لكن النَّار في الوصف المقابل تحرق الإيمان،** الأعواد الصغيرة هذه مثل الصَّغائر، وهذه النار تحرق إيمانك، فلا تتفلَّت وابذل جهودك.

هناك فرق بين ذنب الغفلة وذنب التَّعمُّد، نغفل أحيانًا فابن آدم خطّاء، يقع منه الخطأ والغفلة، لكن فرق بين الغفلة وبين تعمّد الذنب باعتقاد أنَّها صغيرة لا تضر، لا صغيرة مع الإصرار، وليست في حكم الشرع صغيرة ما دمت تتعمَّد القيام بها، حين تُفكِّر في هذا النقص تحزن على نفسك، أنّه بعد جمع هذا الإيمان تأتي فتسلُبه، بل تجمع لهُ الحطب الذي يحرِقُه، هذا فعلنا: سيِّئة من هنا، وسيِّئة من هُناك، وكلُّها من باب الاستهانة وعدم العناية.

**حفظ السمع والبصر:** كثيرًا ما يحصُل أن نمُد أعيُنَنَا إلى ما مُتِّع به غيرُنا، والله عزَّ وجل يقول في كتابه: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ}[١] إلى ما مُتِّع به من؟ أزواجٌ منهم، ووصف هذه المتعة: زهرة الحياة الدنيا، لنفتِنهُم فيه، ثمَّ لا بد أن يبقى في قلبك أنَّ رِزق ربِّك خير وأبقى. فمدّ البصر وتقليبه في متاع وزهرة الدُّنيا التي عند الناس، وتَمَنّي الدنيا وحُبُّها، هذا كله من مُشتتات الفؤاد، احفظ على نفسك سمعك وبصرك يحفظ الله عليك قلبك، وحفظ السمع والبصر مسؤولية.

---

[١] (الفاتحة: ٥)

[٢] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ " : إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ " ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا ، فَأَجَّجُوا نَارًا ، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا" رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٦٨٩)

انتبه، فإنَّ مَدّ البصر إلى ما مع النَّاس، ومدّه إلى عوراتهم وإلى أمور تخُصُّهم، ومدّه إلى المحرَّمات، وإظهار نفسك أمام النَّاس تقيًّا، عفيفًا، غاضّ البصر، - كل هذه العِيدَان الصغار تجتمع لإحراق الإيمان، فلا يصحّ أن تطلب من الله أن يحفظ عليك إيمانك وأنت في نفس الوقت تجمع الأعواد التي تُشعل النَّار التي تحرق الإيمان.

العفَّة لها طريقُها، وأوَّل العفَّة غض البصر، دائمًا حين نتكلَّم عن غض البصر، النساء دائمًا يوجِّهن الكلام للرِّجال: "هو يجب عليه أن يغض البصر" ونحن أبصارنا مُطلقة ولا نتحرّج من ذلك، لأنَّ اعتقادنا في غض البصر أنّ الرَّجل يفترض أن لا يفعل. وانظري إلى تقليب البصر سواء في الشاشات، أو أجهزة الكمبيوتر عن طريق النت وغيره، تقليب البصر أصبح مفتوحًا، ترى المجلّات والصور فيها وكل تفكيرنا: "أنا امرأة لا أدخل في قضية غض البصر"، كلّا، المرأة مثل الرجل تمامًا، ورد في الآية الأمر للرجال وللنساء، فمن أين أتى التخصيص؟ ومن أين أتى هذا الاعتقاد؟ وممّا يدعو إلى الأسف أنَّ النساء اليوم احتججنَ لغضّ البصر من الرجال، ومن النِّساء أيضًا، واللهِ يُؤسفنا أن نقول هذا الكلام ولكنَّه موجود، والقصَّة كلُّها في كلمتين: الحياء من الإيمان ، إن ذهب الإيمان فُقد الحيّاء، الحياء مقياس، وكل من تعرّى فقد وقعت منه الشَّهادة على نفسه بنقص إيمانه، وكُلّما زاد الإيمان زاد الحياء.

ثمَّ بعد ذلك لا تسأل عن الفؤاد، وعن التعلُّقات الحاصلة، لا تسأل عن المظاهر المؤذية، لا تسأل عن مظهر من مظاهر التَّرجُّل الحاصل عند كثير من الشَّابَّات، كل هذا من المؤلمات، وكُل هذا بسبب عدم الشعور بمسؤولية حفظ الجوارح، انفلات بكل معاني كلمة الانفلات.

**واعلم أنَّه كُلَّما كان الكبار المسؤولون عن البيوت أصدق في حِفظ جوارحهم، سخَّر الله لأبنائهم أوضاعًا وأحوالًا لحفظ جوارحهم.** أنا الآن أكره أن يمُد أولادي أبصارهم إلى المحرَّمات ولا أريد أن تسمع آذانهم المحرَّم، وهذه مشاعر طيِّبة، لكن تحتاج إلى باطن طيِّب أيضًا، أنا الكبير حين أخلو لابد أن أكون تقيًّا، لأنِّي حين أخون في السر، يتعرَّض الصغير للمثيرات ولا أستطيع ضبطه.

---

[1] (طه: ١٣١)

٢ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنْ الْإِيمَانِ" رواه البخاري (كتاب الإيمان/ باب الحياء من الإيمان/٢٤) واللفظ له، ورواه مسلم (كتاب الإيمان/ باب شعب الإيمان/ (٥٩).

من مخادعة الله: أن تُظهر أنَّك مبغِضٌ كاره، ثم حين تأتيك فرصة تنفَلِت وتفعل الممنوع، وكل الذي بقلبك: "كلّا، سأتوب، أنا كبير عاقل، ولديّ ضوابط تمنعني"، وتُيسِّر لنفسك التقليب في الصفحات والمواقع الممنوعة، وتُقلِّب في مناظر مُبغَضة، وهذا كلُّه وفي داخلك شعور أنك كبير عاقل وذلك لا يضُرُّك، كل هذا نخشى أن يدخل في قوله تعالى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}[1]، إذا كنت تريد أن يصونك الله ويحفظك، فاحفظه في السرِّ والعلن، نحن نشتكي اليوم من استقامة ظاهرة وفسق باطن.

بالتأكيد أن ما نتكلم عنه ليس كمن ابتُلِي بإطلاق سمعه وبصره، كان في شبابه يفعل ويفعل وبقيت هذه المشكلة عنده، وهو في حال جهاد، وكل مرَّة يمنع نفسه، ويستسلم يومًا، ويتوب عشرين يومًا ثم يعود، هذه حال أُخرى، هذا يُجاهد، ليس كمن يُظهر أنَّه كامل، وأنَّه صاحب دين، ومن الباطن يتخفَّى للوصول إلى مراداته تحت: "لا يضُر؛ أنا كبير، أنا شخص أستطيع أن أتحكَّم في نفسي" إلى آخر ما يقولون.

المقصد: إيمانك هذا أمانة عندك، واجب عليك تنميتُه، لأنَّ نفسك كلّها أمانه عندك، وإيمانك هو الذي سيُصلحك، فالمفترض أن تكون أمينًا على إيمانك فتحفظه، احفظ الله يحفظك، كن أمينًا على إيمانك، لا تضيّعْه ولا تحرِقْه.

وقُل مثل هذا وأضعافَه في **مسألة الكلام**، الغيبة محرَّمة وفلان يُبغِّض النَّاس فيها، ويمنعهم من الكلام عن كل أحد، ويأتي شخص واحد فقط في حياته، وتصبح الغيبة في حقِّه حلالًا، وتجد لسانه مُنطلقًا في الكلام عنه، وكل من يقول له: "ادعُ له، هدِّئْ نفسك" يقول: "لا، قهرني، فعل بي" إلى آخر ما تسمع من أعذار لتحليل هذا العمل. لذلك لا زلنا نقول: تمشي زمنًا طويلًا لا تعرف مِن أخلاق نفسك الغيبة أو النّميمة، وفجأة دخلت في موقف اختبار وابتلاء، بأن يقع عليك ظلم، أو تمرّ بك أحداث لم تمُر عليك سابقًا، فتنقلب بعد أن كُنت تمنع غيرك في الكلام في أعراض النَّاس، تجد نفسك منطلقًا في كل فرصة تتكلم في عرض هذا الذي وقع منه الضرر عليك، ستقُول: "أنا ظُلِمت" فنقول يجوز لك الكلام عن الظالم، لكن عند من يُصلح ويرفع هذا الظلم فقط وليس عند كل النَّاس.

المقصد: سمعُك وبصرُك وفؤادك ولسانُك كلُّها مواطن احفظها ليحفظ الله عليك إيمانك، كل هذا إذا حفظته سيولِّد حفظَ الفروج. واليوم المثيرات تتلقَّت فتجدها يمنة ويسرة، والصغير والكبير يتعرَّض لهذه المثيرات، الكلّ يسمع كلامًا ويرى صورًا عن طريق المواقع المحجوبة أو المواقع المفتوحة، والإثارة لها درجات، في النِّهاية أصبحنا نرى الشَّباب والكبار ترتفع عندهم نسبة

---

[1] (النساء: ١٤٢)

الخيانات، نحن نريد أن نُعالج، نُريد أن نضع لنا حدًّا حتى ننتبه، لنلجأ إلى الله عزَّ وجل أن يحفظنا ويحفظ ذُرِّيَّاتنا، ولا يتصوّرْ أحد عن نفسه أنَّه محفوظ من ذلك. ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه كان يسأل الله عزَّ وجل أن يحفظه من السَّرقة والزِّنا والرِّبا، فكان يُقال له: أأنت يا أبا هريرة؟ فيقول: نعم، ألا أعلم أنَّ قلبي بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء؟!

على هذا يجب أن يكون الخوف دائمًا من الوقوع في المكروه، واللهِ علمنا بامرأة متزوجة وتقع منها الخيانة، وهي كما نُعبِّر "من بنات الأصول"، رُبِّيت تربية جيِّدة، هي بنفسها كانت تدعو إلى الأخلاق الحسنة، لكن حينما تزِل الأقدام وتقع الشهوات ويُفتن الإنسان، في لحظتها كل شيء يسقط، فلهذا نحن نسأل الله أن يحفظ علينا إيماننا ويحفظ أولادنا.

لابد من أخذ وسائل حفظ الفروج؛ لأنَّ مثل هذه الحاجات تتحرك في النُّفوس، فلا تُعرِّضها للإثارات، لا تُحرِّكها مهما كُنت ترى أنَّ هناك طريقًا سليمًا لإشباعها، لا تُثِرها إثارة محرَّمة؛ لأنَّ الحلال لن يشبعها بعد ذلك، فيتحوَّل الأمر إلى الحرام.

**ومُلخَّص الأمر: امنع سمعك وبصرك وامنع عقلك من التفكير في المحرَّم، لأن الخواطر الرديئة مسببة للخواتم السيّئة**، لا تُطلق لعقلك التفكير، لا تُعطِ مجالًا لقلبك لِتقليب الصور، بل استعِذ والزم باب الرحمن، والزم الذِّكر، وجاهد في ذلك، وهذا الكلام يُقال لكل أحد، مُحصِن وغير مُحصِن، لا يتصوَّرْ أحد أنّه مُحصن وأنه خارج هذا الكلام.

قال الشيخ: **"إلى غير ذلك ممَّا أمر الله عباده بحفظه وجعل ثوابهم على ذلك؛ فحفظُه لهم ودفاعُه عنهم ووقايتُهم من كل ضر وبلاء"** سيكون مبنيًّا على حفظهم هم لله، **"ولا حافظ للعبد في دينه ودنياه وفي أيِّ أمر من أموره إلَّا الله، {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف:٦٤]"**

تنبيه على مسألة الثقة بالله عز وجل: إذا علِمت أنَّ الله حافظ فكن مطمئنًا لحفظه، وإذا استودعت الله شيئًا وأنت على يقين فلابد أن يحفظَه لك، ولن يخذلك، لا تعتقد أنَّ الله يخذل عبدًا كان متيقِّنًا حال الاستيداع. لا يكفي الاستيداع اللسانيّ من غير يقين، الاستيداع يلزمُه اليقين، بأن تقول: "أنا استودعت الله هذا الشيء: ولدي، مالي" موقنًا في قلبك أن الله عزَّ وجل حافظ.

من طريف القصص في ذلك: تقول أخت إنَّها كانت عائدة من رحلة ومعها أغراض ثمينة حملتها في أكياس بيديها لأنَّها ثمينة بها ذهب وأشياء من هذا النوع، فتقدَّمت ابنتُها وضاعت وقتَ خروجهم بأمتعتهم، فأصبح همّهم منصبًّا على ابنتهم، وأخذوا متاعهم الموجود وتركوا أكياسهم في الأرض، وقامت تبحث عن بنتها بدون تفكير، والذي حمل العفش دفع العربية

بالحقائب ولم ينتبه للأكياس، ووَجَدُوا ابنتهم وذهبوا للمنزل، وحين وصلُوا بيتهم عرفوا أنَّ هناك كيسًا مفقودًا، فقالوا: ليس لنا إلّا أن نستودعها الله. وكان وصولهم الثانية عشر ليلًا، وباقي أهلها قادمون على رحلة صباحية تصل في حدود العاشرة، فوصفت لهم المكان، وقالت لهم: اذهبوا إلى مكتب الأمانات، ربَّما سلَّمه أحد، وربمَّا رآه أحد وانتهى أمره، فوجده أهلها في نفس المكان بالضبط دون أن يتحرك. هل تتخيَّلين مطار جدة في هذه الأيَّام؟ أمّة تأتي للعمرة ومع ذلك يبقى الكيس في مكانه مع أنَّه في الطريق. لكي تعرف أنّ الحفيظ إذا استودعته شيئًا حفِظَه يقينًا، ولم يتحرَّك من مكانه، لكي تزداد يقيًنا أنَّه سبحانه وتعالى لا يتحرَّك مُتحرِّكٌ إلَّا بأمره، ولا يسكُن ساكن إلَّا بأمره.

استحضر دائمًا مثل هذه المواقف من ذاكرتك واجعلها أمامك، لكي تزداد يقينًا وعبوديةً، أبقِ في عقلك دائمًا ما يزيدك رضًا عن الله؛ من أجل أن تأتي المرَّة القادمة ويكون قلبك حينها مُنفعلًا باليقين الذي أشهدك الله عليه. مشكلتنا أنّا لا نذكر إلَّا مآسينا طول العمر، فإذا سُئِلتَ عن يومٍ وفَّقك الله فيه ونجَّحك ويسَّر لك وأعطاك ورزقك تحاول أن تتذكَّر، لكن عندما تُسأل: كم مأساة مررت بها؟ تُحصيها. يوسف عليه السلام حين انتهت كل القصَّة ماذا بقي في ذاكرته؟ {وقَدْ أَحْسَنَ بِي}[1] ثمَّ {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ}[1] هذه الذَّاكرة لم ترَ في الأحداث إلا الخير، ولا تُحسن أن تصف من الحدث إلاّ خيريَّتَه، وهكذا **كل الأزمات تمر على العبد من أجل أن يترقَّى، فإذا كنت لله حافظاً حفِظ عليك إيمانك، بل حفظ عليك في عقلك ما يُبقِيك على يقين**، بل من لطيف حفظه أنَّك في وسط الأزمات تتذكَّر من النصوص والآيات ما يكون سببًا في شرح صدرك، الله يريد أن يحفظ عليك إيمانك فيُذكِّرك في وسط الأزمة مثلًا: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[2] ، أنت في أزمة وكُّلهم مجتمعون عليك كي يقرروا أن تخرج للخارج، ثمَّ يُذكِّرك الله: {وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} فتلزم التَّقوى، وتفهم أنَّ النهاية ستكون للمتقين. ومن لطيف الحفظ أن تبقى متذكّرًا: {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[3] ، تبقى متذكّرًا أوصافه لتبقّى متعلِّقًا به، كل هذا من لطيفِ حفظِ الإيمان: أن يبقى في قلبك من اعتقادك في ربِّك ما يزيدك حُسن ظنٍّ به.

قال الشيخ –حفظه الله–: **"وكم هو جميلٌ بالعبد مع حفظه لما أمره الله بحفظه: أن يتوجَّه إلى الله بالدعاء أن يعافيه في دينه ودنياه وأن يحفظه من كل شر وبلاء. وفي (المسند) وغيره عن ابن عمر – رضي الله عنهما –قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وَحين يمسي: "اللَّهُمّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،**

[1] (يوسف: ١٠٠)
[2] (القصص: ٨٣)
[3] (يوسف: ٦٤)

**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحتِي".**[1]

**"لم يكن يدع"** أي: لم يكن يتركها، فهو دائم مستمر على ذكرها. انظري آخر جملة علّق عليها الشيخ: احفظ الله فيما أمرك، **مسلك العمل: ١: احفظ الله يحفظك، ٢: وأكثر من الدعاء؛ طالبًا من الله أن يحفظك**. من أدلة هذا الطريق هذه الدعوة حين يُصبح وحين يُمسي؛ أي: تُصبح من أذكار الصباح والمساء.

الشاهد على اسم الحفيظ: "اللَّهُمَّ احْفَظْنِي". **أولًا**: طلبَ العبدُ من الله أن يحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه، هذه الجهات الست التي تأتي منها الشرور للبدن وللقلب، فإمَّا أن يأتيك من فوق مثل الإعلام، وإمَّا أن يأتيك من سمعك وبصرك، أو من الجهات الستّ بالتفصيل، وحين وصل للأسفل عظَّم التعبير والطلب: "وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ مِنْ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تحتِي" لأنَّ أسوأ مداخل الهلاك الخسف، فالعبد لا يشعر في الأرض بأمن، يخاف من الخسف بسبب الذنوب والمعاصي، وبسبب التقصير في حق الله، وما هو طاغٍ في الأحوال يجعلُك تطلب من الله أن يؤمّنك من أن تكون ممَّن يُغتال من تحته. عقوبة قارون من أعظم أنواع العقوبة {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ}[2] إذا خُسف بالعبد لن يستطّيع أحدٌ أن ينصرَه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بَيْنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[3] عقوبةُ كبيرةِ الكِبْرِ الخسف من جهة أنَّ العبد لابد أن يبقى في صفات العبودية، فإذا ترك صفات العبودية بالكِبْر، وجب أن يكون جزاؤه مناسبًا لعظيم فعله، ولا جزاء لعظيم الفعل إلَّا أن يأتي من تحته.

"وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ مِنْ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تحتِي" طلب من الله ألَّا يخسف بنا الأرض، ويتضمن طلبًا من الله أن يحفظه من الذنوب العظام، لأنَّ الخسف سببه الذنوب العظام، وعلى مثل هذا فقِسْ، تطلُبه أن يحفظك من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك، وكأنَّك تسأله أن يَسُدّ عليك باب الآثام من كل الجهات.

[1] رواه الإمام أحمد في المسند، (٢/٢٥) وإسناده صحيح.
[2] (القصص: ٨١)
[3] رواه النّسائي في السنن الصغرى، كتاب الزينة، باب التغليظ في جرّ الإزار، (٥٢٧٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٥٣٤١)

لنعُدْ إلى أوّل الدعاء ليتبيّن المعنى: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" **ما العافية المشتركة بين الدنيا والآخرة؟** عافية الأبدان إلى عافية القلوب، تطلب من الله أن يُعافي بدنك ويعافي قلبك، وتطلب منه أن يعافي قلبك ويُسلِّمه من الأمراض، ينبغي أن يكون الخوف من أمراض القلوب أشدَّ من الخوف من أمراض البدن؛ لأنَّ أمراض البدن قد وصُفت لها العلاجات، والشفقة عليك حالّة بأمراض البدن؛ فيشفق النّاس عليك، لكن أمراض القلوب خفيَّة، وعلاجها قد لا أستطيع أن أصل إليه ولا أعرفه. اسأل الله عافية البدن والقلب في الدنيا، لتتحقق لك عافية الآخرة، فعافية الآخرة مبنية على عافية الدنيا.

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي" **طلب العفو والعافية يعني:**

– أن تطلبه أن يعاملك بالعافية من الأمراض.

– وتسأله أن يعاملك بعفوه في دينك، فيتجاوز عن خطأك ويعافيك في دينك. ومثل ذلك في أمر الدنيا والأهل والمال، **فالعافية المرادة في الدنيا والأهل والمال يُقصد بها**: أن تطلب من الله أن لا يُفتح عليك باب البلاءات من جهة: دينك ودنياك، وأهلك ومالك، "اعفُ عنّي يا رب وعافني في دنياي وأهلي ومالي، تجاوز عن خطأي وادفع عنّي البلاء فيهم، وارزقني العافية فيهم"، لأنَّ العقوبات تظهر على هؤلاء.

"اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي" **سؤال الله عزَّ وجل ستر العورات وتأمين الرّوعات، فما ستر العورات؟** الإنسان في كل حالٍ له عيب، في كل عمل له نقص، في كل تقدُّم له ضعف، كل هذه عبارة عن عورات. نضرب أبسط مثال: أريد أن أستضيف أحدًا عندي، فإمَّا أن أُوفَّق في استقباله وإكرامه ويَستُرُ الله عوراتي، وإما أن تظهر كل العورات في استقباله، من أين أن توفَّق وتُسدَّد؟ إذا ستر الله كل عوراتك، وقِس على ذلك كل الأحوال، فكثير من الأحيان حين يتّكل العبد على نفسه، ويظُن أنَّه أحسن التخطيط ويستطيع أن يُحسن التنفيذ: تظهر في كل عمل قائم عورة، مثلًا: هذه آلة أُصوِّر بها دائمًا، وحينما أيقنتُ أنِّي سأصُوِّر بها وأشرع في التصوير تتوقف، أو سيارة تُوصلني دائمًا، وحينما أيقنت أنِّي سأصل بها، تظهر عورتها فتتوقف، وهذا من أنواع اللُّطف لئلاّ تعتمد على نفسك. حينما تدعو بهذا الدعاء لابد أن تُذكِّر نفسك بضعفك ونقصك وعدم قُدرتك، فتسأله أن يستر لك العورات.

في أحيان كثيرة: تُبتلى بأبناء عاقّين، تُبتلى بزوج غضوب، تُبتلى بأحوال تخشى منها الفضح أو شماتة الناس، وأنت من حاجاتك النَّفسية: أن تبقى محترمًا لا يتشمَّت بك النَّاس، ولا تُلام على هذا، فسؤالك الله "اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي" يتضمن أنَّ هذا الزوج الغضوب، أو الابن العاق، أو هذه الحال غير السويَّة يسترُها الله علي، ولا يفضحني بين الناس فيشمتوا بي. لكن العلَّة العليلة هي أن أسأل الله في الأذكار: "اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي"، وأفضح نفسي في الأحوال، لا يجتمع هذا وذاك، وهذه مشكلة من يقول الدُّعاء بلسانه وحاله يناقض دعاءه.

**الجملة الأخيرة:** "وَآمِنْ رَوْعَاتِي" الروعُ: الفزع، والفزع أمر مُعرَّض له العبد مادام حيًّا، تكون في بيتك آمنًا ثم تسمع صوتًا مُخيفًا، أو يتّصل بك أحد فيخبرك بأن فلانًا حصل له كذا وكذا، ورود الفعل الأولى تجاه المواقف –خاصّةً الصَّعب منها– لا تُوفَّق فيها إلَّا حينما تكون صادقًا في سؤالك اللهَ سبحانه وتعالى أن يؤمِّن روعتك. "وَآمِنْ رَوْعَاتِي" أي: "يا رب سكِّن قلبي وقت الفزع، وأرشده أن يفعل ما تُحب أنت".

هذا كلُّه نهايته: طلب الحفظ منه –سبحانه وتعالى– من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، بمعنى: مقدِّمة الدعاء؛ مُجملُه أتى في نهايته.

بهذا نكون قد أتممنا – ولله الحمد – شرح اسم الحفيظ الحافظ، جزاكم الله خيرًا، السلام عليكم ورحمة الله.

**انتهى بفضل الله ومنته**

*****